التلوث النفسي

د.شروق كاظم سلمان* **طلل غالب علوان****
*جامعة بغداد – كلية التربية للبنات – قسم العلوم التربوية والنفسية
**جامعة السليمانية – كلية التربية جمجمال

ملخص البحث
المنطق الذي نعتمده في فكرة " التلوث النفسي " هو منطق واقعنا الذي نعيشه . ذلك الواقع الذي يشهد شيوع ظاهرة سلبية لم يؤلف تفاقم حجمها بهذا الشكل والمضمون المهددين لوجود خصوصياتنا وقيمة هويتنا الحضارية ، مع القناعة الراسخة على انه ما يتوافر من نظريات او افكار او معاني في الادبيات التربوية والنفسية والاجتماعية . التي لا يمكنها أن توازي دقة المعنى المناسب لهذه الظاهرة ، لكنها يمكن أن تكون روافد معززة تسهم في اضاءة المعنى الذي نتوخاه في البحث الحالي .
من جانب اخر، فان فكرة التلوث النفسي لم تاتِ من فراغ ، بل أن لها قضية ذات جذور واوليات يمكن عدها بمثابة تاريخ في اصل نمو الفكرة ، ذلك التاريخ الذي يحكي معنى التطور الحضاري الانساني ، وحيث أن هذا التاريخ يمكن افتراض تنظيمه .
ومن النظريات التي تناولت هذا المفهوم نظرية الاستثناء الثقافي ونظرية الولاء والنظريه التكامليه فضلاً عن ان (اريكسون) تناول جانبا من هذا المفهوم وهو فقدان الهويه .
فضلاً عن المفاهيم الاخرى (الارتباط، التجذر، التفسخ الاجتماعي والغزو الثقافي).

The Psychological Pollution

Dr. Shurouk Kadhim Salman* **Talel Ghalib Alwan****
*University of Baghdad – College of Education for Women – Educational & Psychological Sciences Dept.
**University of Sulaimani – College of Education

Abstract
The psychological pollution term comes from the realism that we live in its world. This realism threatens our privet and the identity of our civilization. There is complete believe that the literature of psychological pollution is insufficient to cover the whole horizons of this term.
The psychological pollution has its root in the theories of the development of humanities within the organization of the history. Some of these theories are the exceptional cultural theory, the faithfulness theory and the integration theory and the identity losing.
The psychological pollution handles several concepts such as the engagement, the social decay and the concept of cultural invasion.

الاطار الفلسفي للتلوث النفسي
يعتمد المنطق في بلورة التلوث النفسي على رؤية واقعيه لحركة المجتمع حيث شهد مجتمعنا العراقي ظواهر اجتماعيه وفكريه ونفسيه لم تكن نتيجه طبيعيه للتطور الانساني والحضاري وانما فرضتهاعوامل وتغيرات ارتبطت بالحروب التي امتدت لعقدين من الزمن ؛وما ترتبت عنها من تداعيات كونتها الظروف السياسيه التي مر بها العراق بكل اثاره المدمره في البنيه النفسيه والاجتماعيه وما رافقها من ظهور سلوكيات لم تكن مؤلوفه ضمن ثقافة المجتمع العراقي.
و فكرة " التلوث النفسي " تاتي من واقعنا الذي نعيشه . ذلك الواقع الذي يشهد شيوع ظاهرة سلبية لم يؤلف تفاقم حجمها بهذا الشكل والمضمون المهددين لوجود خصوصياتنا وقيمة هويتنا الحضارية، مع القناعة الراسخة على انه ما يتوافر من نظريات او افكار او معاني في الادبيات التربوية والنفسية والاجتماعية.
من المعلوم أن الفلسفة هي روح الفكر ، وكل فكرة لا تثير شهية التفلسف لا يمكنها البقاء وضمان انتشارها (زمانيا ومكانيا) ، الا انه من المتوقع أن تظهر لأية فكرة جديدة وفي بداية نشوئها ، الشك وصعوبة استساغتها او قد تتعرض للبطلان اذا ما افتقرت الى الاسس المنطقية والموضوعية او اذا لم تكن قادرة على الاقناع .
والمنطق الذي نعتمده في فكرة " التلوث النفسي " هو منطق واقعنا الذي نعيشه . ذلك الواقع الذي يشهد شيوع ظاهرة سلبية لم يؤلف تفاقم حجمها بهذا الشكل والمضمون المهددين لوجود خصوصياتنا وقيمة هويتنا الحضارية ، مع

القناعة الراسخة على انه ما يتوافر من نظريات او افكار او معاني في الادبيات التربوية والنفسية والاجتماعية . فلا يمكنها أن توازي دقة المعنى المناسب لهذه الظاهرة ، لكنها يمكن أن تكون روافد معززة تسهم في اضاءة المعنى الذي نتوخاه في البحث الحالي .

من جانب اخر ، فان فكرة التلوث النفسي لم تاتِ من فراغ ، بل أن لها قضية ذات جذور واوليات يمكن عدها بمثابة تاريخ في اصل نمو الفكرة ، ذلك التاريخ الذي يحكي معنى التطور الحضاري الانساني ، وحيث أن هذا التاريخ يمكن افتراض تنظيمه على وفق المخطط (٣) .

مخطط (٣)
التنظيم الحضاري الانساني

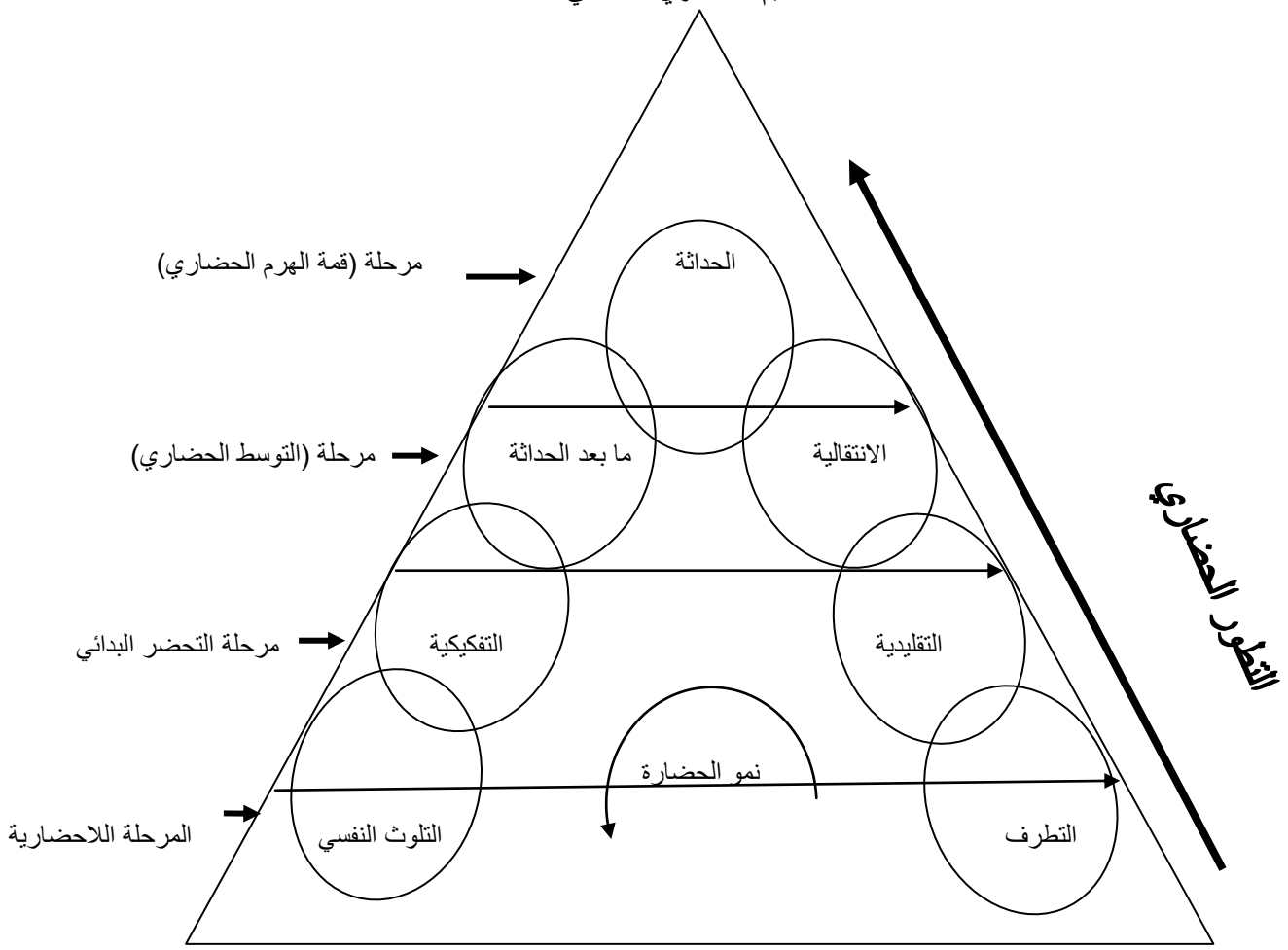

(محمد، ٢٠٠٤ ص٣٢)

التطور الحضاري

١- **التطرف**

ويعد نمطا من انماط الاستجابة المميزة بالشدة والحدة في الابتعاد عن الوسط او الاعتدال وباتجاه التطرف السلبي ، لذلك تميل إلى اخذ موقف متشدد مع كل من تعتقده مهدد لوجودها واهدافها ،فاذاً ينم التطرف عن شخصية سلبية ذات سمات ، هي :-

(التصلب rigidity ، الانغلاق الفكري dogmatism ، التعصب prejudice ، الهوس العقائدي fanaticism ، النفور من الغموض intolerance of ambiguity ، الارهاب terrorism) (عيسى، ١٩٩٨ ، ص: ٧٨) .

وينشا التطرف نتيجة اساليب تنشئة وتربية خاصة وفق منطلقات (فكرية ، دينية ، مذهبية ، قومية ، جنسية ، مستوى اقتصادي او تعلمي او اجتماعي...) ، اما ابرز خصائص الشخصية المتطرفة ، فهي :-

١. الشعور المبالغ بالاضطهاد .
٢. قصور التبصر بالحقائق وافتقارها للموضوعية وروح المنطق .

٣. قصور ثقتها بغير عصبتها او ملتها .
٤. معبأ دائماً للصراع الشكلي او الفعلي وانها لا تخلو من المشاعر العدوانية .
٥. تتسم بسلوك انفعالي .
٦. تقل معها مشاعر التسامح الاجتماعي .
٧. الطاعة العمياء لقياداتها ، كما انها ترفض أي نوع من النقد الموضوعي تجاه تلك القيادات. (الجميلي ، ٢٠٠٣، ص: ٢٦-٢٧) و (الكيال ، ١٩٧٧ ، ص: ٢٤٩) .

٢-التقليدية Traditionism

تمثل التقليدية منبع الاصول الثقافية للمجتمعات ، وهي تشكل معنى التكوينات الاولى في الفكر الانساني المتنوع ، لذا فهي غالباً ما ترفض التغير بكل اشكاله ، لأنها تعول على الموروث الاجتماعي وعده المصدر الاوحد في تكيفها مع واقعها ، كما يتميز مجالها الحيوي بالمحدودية ، لذلك يمكن فهم سلوك الافراد التلقائي بالاستناد إلى استقراء خصائص او ملامح موروثها الاجتماعي .

اما ابرز خصائصها الشخصية :-

٨. وصفها (دانييل ليرنر D. Lerner) بانها تمتاز -غالباً- بجهلها التعليمي وقصور اهتمامها بوسائل الاعلام وعدم قدرتها على اظهار نفسها وافتقارها الى اراء معينة حول المجتمع والظواهر الاجتماعية ولا يهمها سوى منزلها ومجتمعها المحلي الضيق وعشقها للماضي (رابي ، ١٩٩٥ ، ص: ٥١-٥٢).
٩. تتسم بسلوك عفوي يوحي بالتلقائية (عبار، ١٩٩٧ ، ص:١٣) .
١٠. لا تحبذ التكنولوجيا بل تفضل استعمال الادوات والاشياء التقليدية - البسيطة - .
١١. تفضل المهن التراثية والمتوارثة من الاباء وتلتزم بارتداء الملابس الفلكلورية الشعبية .
١٢. تحبذ العيش وسط عائلتها الكبيرة .
١٣. تعتز كثيرا بولاءاتها القبلية والعشائرية والعائلية .
١٤. تحبذ اسلوب العلاج الشعبي وتؤمن بالتعاويذ والخرافات والغيبيات وتبالغ بالحض والقدر (الماجد ، ٢٠٠٠ ، ص: ٤٠-٤٣) .

٣- الانتقالية Transesim

يرى (دانييل ليرنر D.Lerner) بان لها سمات متداخلة بين التقليدية والحداثة . الا أن اغلب افرادها يفتقرون للتعليم والتعبير عن رأيهم واغلبهم من الذين ولدوا في مدن صغيرة او في قرى ثم هاجروا الى المدن الكبيرة (رابي ، ١٩٩٥، ص:٥٢) .

٤- الحداثة Modernism

يعد مصطلح الحداثة من المصطلحات التي تحمل في طياتها العديد من المرادفات من مثل : التنوير (اموري ، ١٩٩٣ ، ص:١٤٤) وعصر النور (كوخ ، ١٩٦٣ ، ص:١٨٣) والانفتاح والعصرية والتجديد والنهضة والعولمة والتقدمية ....

ويرى فيها (تورين ، ٢٠٠٠، ص:١١٧) بأنها انقلاب على كل ما هو تقليدي وساكن في الحياة باتجاه البحث عن افق افضل للفرد والمجتمع وعن نظام اجتماعي عقلاني . وفكر الحداثة دفع إلى نشوء العديد من التيارات والحركات الثقافية الرائدة ، ومن ابرزها (مثلا) المستقبلية Futurism التي نشأت في ايطاليا وكانت تدعو إلى نبذ التقليد والى التعبير عن دينامية الحياة العصرية بافضل صورها .. لقد اسهمت مثل هذه الحركة في القضاء على الفاشية الايطالية (Augros , 1984 , p p: 170 – 171) .

كما يرى فيها (بيرك ، ٢٠٠٢ ، ص:٢٣٨) "هيمنة سلطة العقل على الجهل والنظام على اللانظام وسلطة العلم على الخرافة " .

اما ابرز خصائص الشخصية الحديثة او العصرية :-

١٥. ترى (المسند ، ١٩٩٨ ، ص:٢٦) "انها تمثل اتجاهات الفرد ومشاعره باتجاه تنمية انتمائه لوطنه" .
١٦. كما وصفها (انكلس وسمث Inkeles & Smith /1976) " بقدرتها على المشاركة النشطة والفاعلة بقضايا المجتمع العامة ومعتمدة في ذلك على المنطق والعقل ولها الاستعداد العالِ على التكيف مع المتغيرات المختلفة وتميزها بدرجة عالية من الاستقلالية " .
١٧. ووجد فيها (دانييل ليرنر) " القدرة على التعلم والاهتمام بوسائل الاعلام والقدرة على تصور نفسها في مواقف مختلفة وهي قادرة على صياغة الآراء واعطاء الاحكام والرأي في القضايا العامة " (رابي ، ١٩٩٥ ، ص:٥١) .
١٨. كما انها قادرة على تقدير ذاتها وتتقبل النقد بروح من التسامح والتفهم والتفاؤل مع عزمها على تطوير ذاتها باستمرار وبالسبل المشروعة .
١٩. تحترم القانون وحقوق المرآة وتنبذ الاسراف بكل انواعه .
٢٠. تجد في الرياضة والفنون الجميلة والسياحة مجالا رحبا لتنمية وتجديد روحها المعنوية .

٢١. كما انها شخصية حيوية وناضجة بكل المقاييس . وهذا ما اشار اليه (ضمنيا) العديد من علماء النفس من امثال (اريكسون ، اليورت ، موراي ، ادلر ، ماسلو ...) .

٥- ما بعد الحداثة Postmodernism

انطلق هذا الانموذج من الفكر ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ومع تسارع نشاط الثورة التقانية ، وقد وصفها الكاتب الاميركي المصري المولد (Hussein, 1986 , pp : 503 - 520) " بأنه فكر يرفض الشمولية والنظريات الكلية في (الفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية ..) ومركزا على التوافه والهوامش المحدودة ، كما ينبذ اليقين المعرفي ومؤكدا تشككه الدائم بالنسبة إلى : (الاشياء ، الافكار ، الاعمال ، الاقوال) ، وليس له اهداف محددة ويلّح على اسقاط نظام السلطة الفكرية (في المجتمع ، في الجامعة ، في الادب ، في الفن ، في العلوم..) .

بهذا فان خطاب ما بعد الحداثة يدعو إلى اللعب والحوار لا إلى تثبيت سلطة العقل أوالى البحث عن الحقائق الخالدة او القيم الازلية ، انه فكر لا يجد منفذا امامه الا في الفكاهة والهزل ورفض روح الجد .. "

كما يجد (الشرابي ، ١٩٩٩ ، ص:٩٣) في " هذا النوع من الفكر ، بأنه متأخر عن فكر التنوير ومبدأ التقدم والرقي ، لكونه يشكك في كل شيء بدءا بالذات وصولا الى ، الحضارة القائمة برمتها ، وبذلك فان هذا النوع من الفكر ، يمثل اشكالية حضارية في غاية الخطورة لانه من الناحية النفسية والمعرفية يدعو إلى الاطاحة بسلطة الاب (ولا اعني هنا الاب البيولوجي بل كل من يحل محله في حياة الفرد والمجتمع" .

اما ابرز خصائص شخصية ما بعد الحداثة :-

٢٢. اهتمامها بالنقد غير الموجه إذ ترفع شعار (النقد من اجل النقد) لانها غير قادرة على تقديم حلول او بدائل لما تنتقده .

٢٣. كما تهتم بالربح الفاحش ولهذا تفضل عالم التجارة على الصناعة (لذا فان هذا الانموذج من الفكر يعد المجسد الحقيقي لروح النظام الرأسمالي وقيمه البرجوازية وسعيه إلى اقامة مجتمع ما بعد الصناعة او عالم راس المال الدولي والمتعدد الجنسيات

٢٤. كما يصفها (بيرك ، ٢٠٠٢ ، ص٢٤٠) " بأنها تلجا إلى الخيالات الجانحة والتفكير الفنتازي وتؤكد على الطابع المجزء والمتعدد للحقيقة وتنكر على الفكر الانساني الوصول إلى تقدير موضوعي لتلك الحقيقة . وتعد النظام الاجتماعي بأنه عبارة عن لغو بلا معنى لتجرد مصداقيته " .

٦- التفكيكية :

جاءت التفكيكية بوصفها مذهباً فلسفياً مناقضاً للبنيوية ، وهو ذو اتجاهات فكرية متعددة ، يعدها البعض انها ذات افق خلاق في مجالات الفن والادب والعمارة لخروجها عن المالوف .. الا أن هذا الخروج قد خلق ازمة فكرية حينما مهد الطريق للعديد من مريدية في (الفكر والثقافة والعلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفة الطبيعية) إلى الجنوح حينما دعوا إلى مصير من تفكيك البنى الاجتماعية ونصرة اللا وعي الفردي باقصاه .

ويمكن تشخيص عدد من تياراته الفكرية والثقافية والنفسية والفلسفية والعلوم التطبيقية :

٢٥. فمثلا دعا (كولن ولسن) في مؤلفه (اللا منتمي) إلى رفض الالتزام باي شيء والتحرر من لعنة الارتباطات الاجتماعية جميعا وان يكرس الواحد نفسه لمهمة واحدة هي انقاذ كيانه الوجودي فحسب ، ولابد من الاعلان عن قيام عصر جديد يعادي النزعات الانسانية.

٢٦. كما يرى (اريك فروم) : أن الانسان يكوّن بفعل قوى اجتماعية وسياسية واقتصادية ومع ذلك فنحن غير طيعين إلى مالا نهاية ، فالانسان ليس دمية يستجيب للخيوط التي تسحبها القوى الاجتماعية ولا ورقة بيضاء تستطيع الثقافة أن تكتب عليها ما تشاء (شلتز ، ١٩٨٣ ، ص:١٣١) .

كما راجت في اوربا حركة فنية وفكرية استفزازية عرفت بـ(الدادائية) وكان لها حضور في العديد من الدول الاوربية والاميركية ، وكانت تروج للفحش واللا معنى والبشاعة واكثر اهتمامها هو مواضيع الدعارة المجسدة في الفن والادب ... لقد عدت الحركة ضربا من السخف في تفريغ الحياة من محتواها ورأت بان (كل انسان هو لعبة كرة قدم بيد مجتمعه) .. كما انها تشكك في كل مشروع يهدف إلى تطوير الانسان ورفضت فكرة وجود انسان عقلاني واع (شرابي ،١٩٩٩ ، ص: ٢٨٤-٢٩٥).

كما ظهرت حركة اخرى هي (العدمية Nihilism) التي تعد بمثابة فلسفة تؤمن بان القيم والعادات الموروثة لا اساس لها من الصحة والوجود والواقع برمته لا معنى له (Augros , 1984 , p : 167) ، كما ظهرت في اميركا حركة نسائية داعرة عرفت بـ (نساء احرار) ومن بين ابرز اهدافها هو الدعوة إلى عد الزواج ارثاً اجتماعياً بالياً يجب تجاوزه والتخلص منه (ميرادو ، ١٩٩٧ ، ص:٤٠) . بالرغم من شيوع اصل الدعوة ولا سيما في بعض المجتمعات الغربية واميركا اللاتينية .. إذ تذكر المصادر الاحصائية عن تجاوز نسبة المواليد غير الشرعيين إلى ٦٠% ، وقرابة ٩٥% من شعب الدنمارك هو غير شرعي ، وفي بنما ٧٠%.

الاسباب التي تؤدي الى التلوث النفسي

١- البطالة

ان غياب الخطط في استيعاب الاعداد الكبيره من الشباب التي اخذت تتدفق على سوق العمل قد ادى الى شحه فرص العمل وهذا معناه ان قبول كم هائله من الطلبة في مؤسسات التعليم العالي او باختصاصات مختلفه دون مراعاة الحاجه الفعليه لسوق العمل قد افضى الى الندرة المعروضه في فرص العمل ولا سيما فرص العمل المتعلقه بالشباب المتخرجين من الجامعات والمعاهد مما يعني ان البطاله اخذت تزداد بين صفوف الشباب بشكل ملحوظ وهذا يشير صراحه الى ان البطاله غدت احدى المشكلات التي يعاني منها الشباب مع مراعاه ان تقادم السنوات سيزيد من معدلاتها في حالا تها في حال استمرار الموسسات التربويه بقبول اعدادكبيره من الشباب في الكليات والمعاهد وهذا يدل بطبيعه الحال على ان ثمه خللا واضحا في النظام التربوي اذ لولا وجود هذا الخلل لا صبحت نسبة البطاله بمستوى المعدلات العالميه او تزيد قليلا واية ذلك ان ارتفاع نسبة البطاله بين صفوف الشباب مؤشر ينبئ بالخطر على الصعيد الاجتماعي مما يجلعنا نخشى عواقبه صفوف الشباب مؤشر ينبئ بالخطر بالحطر على الاجتماعي مما يجعلنا نخشى عواقبه مستقبلا ولعل من العواقب المتربه على زيادة نسبة البطاله في صفوف هذه الفئه الاجتماعيه احساس هؤلاء ان السنوات التي قضوها في الدراسه بهدف الحصول على الشهاده قد ذهبت ادراج الرياح مما ولد لديهم احباطا ومن ثم استثارة قلقهم حول المستقبل وذلك يرجع اساسا الى ان الشهاده الجامعيه التي عقد عليها الكثير من الامال والاهداف لو تعد تحظى بالقبول الاجتماعي بسبب ان الناس اخذوا يطلقون احكامهم على المهن اثر العائد المادي المتحقق منها كما ان الاتكال على الشهاده لوحدها سوف لا يحقق بعض الاهداف الحياتيه التي كونها هؤلاء اثناء مسيرتهم في الحياة لذافان هذه الفئه قدوجدت نفسها ازاء ضغوط حياتيه جمه ولاجل التوافق معها كان على هؤلاء ان يختاروا احد الاساليب

المناسبة للتعامل معها .فلقد وجد بعض الشباب في تعاطي المسكرات والمخدرات او تعاطي بعض العقاقير اسلوبا منا سبا في التعامل مع الضغوط التي يتعرض لها ووجد فريق ثان منهم في الانسحاب من المجتمع اسلوبا مناسبا للتعامل على ان يجد في الانسحاب مايخفف معاناته النفسيه في حين وجد فريق ثالث ان الانخراط في اعمال هامشيه ربما يحقق له العائد المادي الذي يتمكن من خلاله ان يشبع بعض حاجاته قد زاول فريق رابع منهم مهنا لاتخلو من التحاليل على الاخرين او التحاليل على القانون بعد ان سئموا من حالة البطاله .ومما له دلاله في هذا الصدد ان الاوضاع المعيشية التي يمربها ربما تجعلهم اكثر من غيرهم الى تقبل اسلوب الخطاب الذي ينطوي على التحايل والغش والخديعه او ما نريد قوله هنا ان الحاله النفسيه والاجتماعيه لهؤلاء ربما تجعلهم لايبدون ايه مقاومه تذكر ازاء الاغراءات التي يقدمها لهم اولئك الذين سبقوهم في ممارسه هذه الاعمال بقصد حثهم في العمل معهم والانخراط في مزاوله نشاطاتهم ومما نخشاه قد يصبح هؤلاء على درجه عاليه من الحدق في فنون الانحراف بمرور الزمن .(شمال ،١٩٩٩،ص:٨٤)

٢-اضطراب التراتب الاجتماعي :

ان التراتب الاجتماعي (soial stratification) الذي يتعرض الى الاضطراب اثر ازمه مجتمعيه او تغيرات اجتماعيه سريعه قد يفضي الى انهيار النظم والقوانين فضلا عن ان التماسك الاجتماعي قد يصبح معرضا للتهديد وذلك يعود كله الى ان المعايير التي تحكم التراتب الاجتماعي داخل المجتمع تغدو غير فاعله في اول الامر وذلك هو بدايه اضطراب لتراتب الاجتماعي ثم بعد ذلك تاخذهذه المعايير بالاختفاء تدريجيا عن مسرح الحياة الاجتماعيه وباضطراب ،التراتب الاجتماعي نكون ازاء نوع من التغير الاجتماعي يطلق عليه غير المنفلت (Non-systematic chang) وعادة مايشيع هذا النوع ن التغير في المجتمعات التي تعاني من ازمات؛اذ تقرر المكانه الاجتماعيه للفرد مؤشرات لا علاقه لها بشرط الكفاءة او المبذول او التحصيل العلمي بل ان مكانة الفرد تقرر الى مؤشر واحد فحسب كأن يكون مورده الاقتصادي او علاقته بمتخذ القرار وكونه محسوبا عليه او مواليا له اما له شرط الكفاءه او التحصيل العلمي فلا تراعي هنا في تقرير المكانه الاجتماعيه ،ولتوضيح فكرة اضطراب التراتب الاجتماعي ،نقول ان الاستاذ الجامعي يحتل الترتيب (٤) في قائمه المهن من حيث المكانه الاجتماعيه ،بينما يحتل الترتيب (٢٥) في القائمه نفسها من حيث المكانه الاقتصاديه واذا عقدنا مقارنه بين الاستاذ الجامعي ومهنة اخرى اقل مكانه ، سيكون الفرق كبيرا جدا ،وهذا يدل على ان التراتب الاجتماعي قد تعرض الى اضطراب بدليل ان المطرب وهو اقل مكانه في قائمة المهن احتل الترتيب (٧) في المكانة الاقتصاديه بينما احتل الترتيب (٧٤) في المكانه الاجتماعيه ،ويبدو لامنطقيا ان ان يتغلب الثاني عل الاول بمكانته الاقتصاديه ، وبعد ان تراجعت مكانة الاول الاجتماعيه التي اصبحت بدورها لاتؤهله لان يكون من اهل الجاه والحظوه ،ازاء تراجع المكانه الاقتصاديه لبعض المهن التي كانت في يوم ما في اعلى السلم الاجتماعي وتقدم المكانه الاقتصاديه لمهن هامشيه ،يجد الشباب انفسهم انه لا غضاضه من الدخول في تلك المهن ومحاوله احترافها ،بقصد التخلص من حالة الحرمان التي اخذوا يعانون منها من جراء البطاله. (البياتي وبهاء الدين عبدالله، ١٩٧٤، ص: ١٣-١٦)

٣-الازمات المجتمعية:

من المفيد الاشاره هنا الى ان الازمات المجتمعيه تؤدي بطبيعة الحال الى زيادة التلوث النفسي وربما يعود ذلك اللى ان الازمه التي يمر بها المجتمع قد تزيد من الضغوط الحياتيه لدى الفرد ،وبالتبعيه سيؤثر ذلك على بعض اهدافه الحياتيه التي خطط لها في وقت مضى ،اذ يصعب عليه بلوغها مما يعرضه لاحباط وعدم الرضا عن حياته ومما يزيد من

شدة الازمه المجتمعيه ان مصادر الاسناد الاجتماعي في واقع الامر تتعرض هي الاخرى الى الضعف اذ ستكون غير فاعله في دعم الفرد وهو يواجه اعباء الحياة وصعوباتها ،ولما كانت مصادر الاسناد الاجتماعي في وقت الازمات بهذا الحال فان الفرد سيشعر بفقدان معنى الحياة ،ومن ثم عدم قدرته على التحكم في مجرياته وبهذا المعنى فان الازمات المجتمعيه من الممكن ان تبعث على اضطراب السلوك ،وما يهمنا من هذا فئة الشباب ،اذ ستكون وطأة الازمات المجتمعيه اشد من بقية الفئات العمريه الاخرى سواء تلك التي في منتصف لرشد المتاخر ،وذلك يرجع اساسا الى ان المرحله العمريه التي يمر بها الشباب هي بطبيعه الحال مرحله ضغوط ،اذ يسعون فيها بدأب الى تحقيق احلامهم وطموحاتهم بزمن قياسي .(شمال، ٢٠٠٨ ، ص:٦٢-٦٣)

٤_ ضعف الا ندماج الاجتماعي

لعل من العوامل التي تؤدي الى ضعف الاندماج الاجتماعي بين الفئات الاجتماعيه هو هيمنة بعض الفئات على مركز القوه والسلطه في المجتمع ،الى جانب هيمنتها على الثروه وحرمان الفئات الاخرى منها ،وبطبيعة الحال ،ان تمتع بعض الفئات بحقوق وامتيازات معينه وحرمان الفئات الاخرى منها ربما يثير لدى الفئات المحرومه حالة من السخط والاستياء والعدوان ،وفي حالة استمرار الحرمان والغبن والظلم سيتنامى بين صفوف الافراد الذين ينتمون الى الفئات المحرومه حالة من العزله عن المجتمع ومن ثم عدم المشاركه في نشاطاته،ولعل الخطوره في ذلك ان المجتمع عندما يمر بازمه ستكون الاجواء مهياة للهياج الجمعي ،ومن ثم التمرد على النظام الاجتماعي واشاعه حالة الفوضى والتخريب.

ففي المجتمع اللبناني وقبيل الحرب الاهليه التي شهدها في السبيعينات كان المناخ الاجتماعي مهيا لحالة الاقتتال والتمرد على النظام الاجتماعي ،اذ ان زيادة معدلات البطالة والرتفاع الاسعار وغياب العداله التوزيعيه على مستوى الافراد ومناطق المجتمع عموما ،مع احساس الافراد بالظلم والغبن والحرمان قد ادت كلها الى تراكم الاحباط اذوجد الشباب ولاسيما المحطمين منهم ،اشهار السلاح تنفيسا عن حالة القهر كما وجدوا الخروج على النظام الاجتماعي التقاليد والقيم تعويضا عن حالة لتسلط والقهر التي عانوها في المجتمع فضلا عن الجرة من لبنان وعدم العودة اليه .(سابا،١٩٩٩،ص : ١٠٤-١٠٥)

ابعاد التلوث النفسي

البعد الاول : تقمص الثقافات الاجنبيه

إنها الخاصية التي توفر المناخ الخصب لاحتمالية الإصابة بالتلوث النفسي ،حينما يتخذ الأجنبي بمظاهرة الشكلية (المادية والمعنوية) بمثابة نماذج يقتدى بها ويسعى إلى محاكاتها في كل سلوكياته ومشاعره وأساليب تفكير وطبيعة تخيلاته . والى الحد الذي لا يغيب عن باله فيتحول حينذاك إلى مجرد جسد بال في مجتمعه (أو وطنه) في الوقت الذي تهيم روحه في فضاءات المظاهر الشكلية الأجنبية ، ولاسيما ان المظهر الخارجي له أهمية كبيرة في الانجذاب إليه ، إذ يشير (الدباغ،١٩٨٢،ص:٣٠٩) "انه كان الرأي السابق إن الأخلاق والمثاليات هي التي تتفوق على المظهر الخارجي إلا أن التجارب الحديثة أثبتت أن للمظهر الخارجي له من القوة ما يفوق كل الصفات الأخرى في تقرير الجاذبية " إذ إن هذه الجاذبية تكون متفوقة كثيرا في العالم الغربي بفضل وسائله الإعلامية وما يعرض من قضايا وأمور تثير جاذبية الشباب وتدغدغ مشاعرهم وتلبي حاجاتهم إن مصطلح التعلق قد ارتبط بشكل اكبر بنمط السلوك التطفلي الذي يبديه الطفل بعلاقة عاطفية مع القائمين على رعايته لضمان الإشباع (الغذائي والنفسي) وهو بهذا يؤشر عن دافعية متميزة بالاتكال والاعتماد على الآخرين .

ومما يجدر ذكره إن المصطلح (التقمص) لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥٨ ، ويرجع الفضل في تحديده إلى الطبيب الإنجليزي (جون بولبي J.Bowlby) ليصف به صلة الطفل بأمه ،في الوقت الذي انتقد مصطلح التبعية dependency السائد آنذاك والمكتشف من قبل عالم النفس (موراي Murray) عام ١٩٣٨ (السيد ,١٩٨١,ص:١٦٢) .

البعد الثاني :التنميط الجنسي الخاطئ:

يطلق معنى التمنيط الجنسي الخاطئ على كل فرد يتصرف بخلاف توقعات المجتمع لنوع جنسه الملاحظ أو بخلاف الدور الاجتماعي المحدد له سلفا ،فمثلا إذا أبدى الذكر تصرفا اتسم بالتميع والتجبن وإبداء المرونة والخجل المبالغ فيهما أو إذا ارتدى ثيابا أو تزين بزينة اقرب للإناث ....وغيرها من الأساليب ،فانه سينعت بهذا الوصف و الحال ذاته إذا أظهرت الأنثى تصرفا استرجالياً ، وقد لعن النبي محمد (ص) " المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ".

وفي هذا الصدد ، يؤيد العديد من الخبراء :" شيوع ظواهر شاذة واستفحالها -وعلى الصيد العالمي – كالتخنث والضعف الفكري والبلادة وشيوع روح التمرد والتجاوز على النظام واللامبالاة والتواكل والرشوة ... ويفترضون إن السبب راجع إلى تأثير "العقل الجمعي "الذي ينتشر كالوباء أو العدوى بين الناس وحينها لايقوى الفرد على التصرف بمعزل عنهم تحاشياً من اتهامهم له بالشذوذ عما اصبح مقبولاً في قيمهم حتى ولو كان من قبيل "الخطاء الشائع " (محمد، ٢٠٠٢،ص: ١٨٠) .

والخاصية الأخرى في (قيمة االتنميط الجنسي) ؛ هو ما تدل عليه العبارة آلاتية : " إن واحد من أكثر الامور تعقيداً في حياة المجتمعات والتي تقلب كيانها ونظامها هو حدوث خلل وخلط في توزيع الادوار الاجتماعية فيها (فلا الذكر يؤدي

دور الذكورة ولا الأنثى تؤدي دور الأنوثة ولا الأب يؤدي دور رب العائلة ... الخ) ، وحينما لا يعود الفرد مدركا لدوره الحقيقي كي يتصرف على أساسه وليأخذ موقعه المناسب في مجتمعه ..، وبهذا يكون الدليل على التنظيم الاجتماعي هو ما كان للأدوار الاجتماعية وضوح ومعنى وبخلافه يعني ان تقرأ على مثل ذلك المجتمع ، السلام "!

وهذا نتيجه إلى ما تعرضه وسائل الأعلام العالمية من نجوم التخنث العالمي والتصرفات التي كانت فيما (مضى)عاراً وخزياً على من يتبعها و يتمثلها ..ناهيك عن الإدراك الخاطئ لمفهوم "الديمقراطية " حينما عده البعض مسوغا في التجاوز على كل الأصول والأعراف والتقاليد بل وحتى التجاوز على الطبيعة الخلقية التي فطروا عليها . فضلا عما أكده (الراوي ،١٩٧١،ص:١٦٠)

البعد الثالث :التنكر للهويه

ويستخدم مصطلح الهوية الشخصية بمعنى قريب من كلمة (sameness) أي بمعنى : دوام الشخص بعينه (جوهريا) بالرغم من التغيرات التي قد تعتريه

تعد الهوية عنوان وجود شخصية كل من (الفرد والمجتمع) ، وان محاولة إنكارها والإساءة إليها ، يعني إنكار ذلك (الوجود) والإساءة إليه ، و مهما جاهد الإنسان في إنكار هويته الحضارية ، فإنها (أي الهوية)لابد وان تطوف على سطح صاحبها وتكشف زيفه ، وذلك إبتداءً من سحنة وجهه و انتهاء بطبيعة مشاعره ، وهناك حالات عديدة تعد مبعثا لفضح الشخصية المزيفة من مثل (الغضب أو الإرهاق الشديد أو النشوة أو المرض أو الخوف الشديد أو زلات اللسان ...) ،ولذلك قيل (مثلا): " لو أردت أن تعرف جوهر الإنسان ، فأغضبه ، وحين ذلك ستسقط كل الرتوش المنمقة والنوايا المبيتة والكلمات المفبركة والأساليب المفتعلة و التعابير المُختلقة " في هذا الشأن لابد من الإشارة الى تعبير (أمين معلوف) حينما وصف حال ازدواج الانتماء بما اسماه بـ " الهوية القاتلة " ويعتقد (معلوف) فيها ان الهوية لا تتجزأ ولكنها تعبير عن حالة واحدة توجد في عمق اعماق الفرد، فهي في الحقيقة العميقة التي تحدد والى الابد ولا تتبدل " (مؤتمر ، ١٩٩٩، ص: ١٩٩) .

نماذج من واقع التلوث النفسي :

لقد تفاقمت النماذج والى الحد الذي لو تأملنا مجال واقعنا لوجدناها تحاصرنا من كل جانب بجدار سميك يزداد ارتفاعاً وصلابة في كل لحظة ، ويأخذ بالتنوع في الشكل والمضمون ... ومن بين ابرز هذه النماذج ما يأتي :

أ- **التلوث النفسي وانعكاسه على المدينة** :

يفترض علماء الاجتماع الحضري ، ان المدينة بعماراتها تعد افضل مترجم لواقع ساكنيها وتطلعاتهم المستقبلية وهذا ما عبر عنه الفيلسوف المعماري (أليل سارنين) بايجاز القول : " أرني مدينتك أنبؤك عن اهداف قاطنيها " وذلك لان العمارة لم تكن نتاج تراكم حجارة فحسب بل نتاج تراكم نفسي محتوم بمقومات بيئية وإرث حضاري يؤطرها . والى الحد الذي توجب عليها ايجاد هوية متميزة لتدل عليها ولتمنحها فرصة الخلود في ضمائر اجيالها (محمد ، ٢٠٠٢ ، ص: ٢٠) .

وعلى النقيض من هذه المعاني يورد (الخياط ، ١٩٩٨ ، ص: ٤٨) ان المدينة الخليجية – مثلاً – قد اتجهت في عمرانها اتجاها لا عربياً او اسلامياً او خليجياً ، فقد فقدت هويتها ... فاصبحت لا تلبي احاسيس ساكنيها مما تسبب في فقدانهم لمشاعر الارتباط والانتماء وكذلك مشاعر الالفة وشجعوا الفردية والروح الانانية ... والسبب في ذلك ان المعماريين اعتنوا بالمظهر واهملوا الجوهر وتناسوا انهم يبنون لانسان خليجي عربي مسلم ، ويعتقد (الخياط) ان سبب هذا الوضع هو الغزو الثقافي الغربي في التخطيط العمراني من خلال اسهام خبراء اجانب او من بعض المحليين الذين درسوا في الغرب وتأثروا بحضارتها.

ب- **التلوث في الفكر الادبي** :

لقد اصبحت رياح التلوث سالكة عبر اعمدة الادب العربي الى الناس البسطاء ومحدودي التفكير والتحليل والادراك ، فمثلاً يذكر. ان افكار الغرب قد تغلغلت في وعي وفكر (طه حسين) حتى اصبح لا يفكر في اوضاع بلاده الا من خلالهم .. إذ يؤكد (طه حسين) مثلاً : " ان الحكومات الاسلامية سيقضي قريباً ام بعيداً بأن تذهب طوعاً او كرهاً مذهب الاوربيين " .

ان الاديب العربي (سلامة موسى) كتب مرة : " كلما زادت معرفتي باوربا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وانا منها .. فانا كافر بالشرق مؤمن بالغرب ، عاملاً سراً وجهراً على توجيه المصريين نحو الغرب وفصلهم عن الشرق .. واحث المصريين على ارتداء القبعة (الغربية) لا لأنها تقينا من الشمس والمطر بل لأنها تبعث فينا العقلية الاوربية ، فالقبعة هي رمز الحضارة وستبقى كذلك في نظرنا حتى يتخذها رجالنا ونساؤنا ونعلن انسلاخنا من الشرق " .

ت- **تلويث اللغة** :

" ان المحافظة على اللغة تعد اساس المحافظة على الهوية " ، وبالقدر الذي اعتبرت فيه (اللغة العربية) لغة (القرآن الكريم) ، وعدها (جوزيف بروس تيتو) بانها لغة المستقبل (عمري ، ١٩٩٨ ، ص: ١٤٢) وهناك الملايين الذين يتحدثون بها او يريدونها ... الا انها لم تنل ذلك الحظ والمرتبة الرفيعة بين (بعض) مثقفينا ومفكرينا المعاصرين ، فقد اعتادوا على

استخدام الكلمات والتعابير الاجنبية ويفضلونها على لغتهم الام وحتى انهم لم يتكفلوا بترجمة معانيها كي يفهمها عموم القراء ، فمثلاً ، كتب احدهم بحثاً موسعاً حول حقوق الانسان ، جاء فيه : " ان الديالكتيكية الليبرالية ، انما هي هرطقة وأنموذج للباراستورالية ، .. كما انها تشجع البراجماتية .."

وحتى انهم حينما يتحدثون فيغلب استعمالهم للعديد من العبارات والالفاظ الاجنبية ، وباتوا يتفاخرون بها ، وعلى ما يبدو ان السبب في ذلك هو :

" اما انهم لا يعرفون معانيها اصلاً ولكنهم اعتادوا عليها كي يخادعوا الاخرين كونهم مثقفين ثقافة عالية ، او لانهم يظنون ان ثقافة اليوم باتت مرهونة باستعمال الالفاظ والكلمات الاجنبية " . (نعمان ، ١٩٧٩ ، ص:٥٩)

ث- **تلويث قيمة الرابطة الزوجية** :

معلوم ان الزواج باصوله التقليدية يعد من اسمى العلاقات الاجتماعية والاخلاقية ، فهي رابطة اجتماعية يترتب عليها الحقوق واصول النسب ، وقد تعددت صور عقد الزواج ، فمنها (الشرعي والمدني والعرفي والمؤقت والمتعة) ، ويعد الزواج على وفق الطريقة (الشرعية او المدنية) زواجاً قانونياً لوجود الشهود وغيرها من الالتزامات الاخلاقية ، اما النوع (العرفي) فهو اتفاق محصور بين الزوجين الامر الذي يولد العديد من المشاكل والفوضى الاجتماعية .

ومما يلاحظ في العديد من البلدان العربية ومنها العراق (حديثاً وفي المدن الكبرى) بدأت هذه الظاهرة بالانتشار ، لتأثرهم بالوسائل الاعلامية المختلفة ، ناهيك عما بات يعرف بـ(الزواج بالمراسلة) ، ومع ذلك فأن قلقنا سيكون اعظم : اذا فتحت اعينهم على نمط (الزواج المثلي) الذي اصبح قانونياً في العديد من البلدان الاجنبية في الاونة الاخيرة . (سويدان ، ١٩٩٧ ، ص:٢٤)

النظريات التي تناولت التلوث النفسي :

- نظرية الاستثناء الثقافي Exception Culturale theory

تعبير اخترعه الفرنسي (جاكس ثيدو Jacques Thidau) في مؤلفه (فرنسا المُستعمرَة) ، حينما اكد وجود اختراقات اجنبية متنوعة تهدد السيادة الوطنية ليس على الدول النامية والفقيرة فحسب بل حتى لاغلب دول اوربا ولو بشكل نسبي ومنها (فرنسا) التي اصبحت الان تحت نير الاستعمار الثقافي ، فطريقة الحياة الاميركية بلغت اعماق المجتمع الفرنسي في ذاته وعقله وحساسيته ، ودعم هذا الرأي المفكر الفرنسي (كرستيان كومباز Ch. Compaz) حينما تساءل عما اذا كانت فرنسا قد باعت روحها للاميركان ؟ ويكشف عن دور وسائل الاعلام في تنميط رأي الناس والدفع بهم بالاكاذيب وذلك باسم الحرية ، وادخلت الناس إلى عالم الرغبات والخيال مما اضر بالنزعة العقلانية الحديثة وادى إلى انفجار الحداثة ، خاصة عندما تخلى المجتمع عن كل مبدأ للعقلنة والهوية التاريخية .. هذه المعاناة الشديد التي يعاني منها بعض بلدان العالم الغربي اليوم مثلنا تماما ويلاتها ، جعلت الفرنسيين يطالبون بما اسموه بـ(الاستثناء الثقافي) الذي يعني : استثناء المنتج الثقافي المحلي من الاتفاقيات الدولية ومنها اتفاقية (ألجأت) التي تفتح اسواقها للمنافسة الحرة على العالم – إذ أن اتفاقية ألجأت قد فرضت في المجال الفني والثقافي (مؤخرا) على اغلب بلدان العالم ومنها اوربا إلى نوع من الاحتكار الثقافي الاميركي بسبب ضخامة وتقدم وسائلها الاعلامية – في الوقت الذي تطالب فيه تلك الدول باعطائها فرصة التعبير عن نفسها وثقافتها عبر القنوات الضخمة لوسائل الاعلام العالمية ، واحترام الخصوصية الثقافية والتنوع الثقافي والمحافظة عليها كرصيد اثراء للحضارة الانسانية الواحدة ، ووضع حلول جذرية لمفاهيم الحرية ، الديمقراطية ، حقوق الانسان .. الخ (عبد الحافظ ، ٢٠٠٠ ، ص:٩٨-١٠٠) .

- نظرية الولاء Loyalty theory

يعد كل من (كاتز Katz) (كاهين Kahen/ 1978) من ابرز رواد نظرية الولاء الداعية الى الالتزام الاخلاقي Moral commitmentللفرد والجماعة تجاه بعضهما البعض وبارتباطهما بالارض والقيم والاصول والمصير المشترك والاهداف المنشودة .

تعبر هذه النظرية عن درجة تمثيل الفرد لقيم مجتمعه ، ولهذا فالولاء يعكس خطا مستقيما يربط حاجات الفرد بحاجات المجتمع العليا ، وهذه السمة لا تاتي بفرض القوة او بطاعة الاوامر (أو بالمكافآت او الحوافز بل تاتي من خلال التعزيز الذاتي (Kushman , 1992 , p:6) .

ان نظرية الولاء تؤكد اهمية المشاعر والاحاسيس والاتجاهات والسلوكيات الايجابية المميزة بالحب والاعتزاز والبذل والعطاء والتضحية والعمل على تطوير الواقع بافضل صوره خدمة للصالح العام .

وترى النظرية أن مفهوم الولاء لا يتطابق تماما مع مفهوم الانتماء ، فالفرد قد ينتمي إلى جماعة معينة او مؤسسة او بلد ما يرتبط به الا انه قد يحمل مشاعر سلبية او ايجابية من الرفض والقبول . بينما الولاء يعني الانتماء الايجابي حصرا . ذلك الانتماء الفعال الذي يتطلب التضحية والنصرة وروح المبادرة للجهة التي ينتمي اليها .

كما تطرح النظرية عدة اوجه لها ومنها (الولاء الاجتماعي والولاء المهني ...) فالولاء الاجتماعي كما تراه (كانتور Kantor) له ثلاثة اسس هي :-

١. الولاء المستمر : ويعني تكريس الفرد الدائم لحياته ويضحي بمصالحه الذاتية لبقاء المجتمع.
٢. الولاء الملحمي : ويمثل ارتباط الفرد بعلاقات اجتماعية لتعزيز تماسكها وتضامنها .
٣. الولاء الموجه : ويمثل ارتباط الفرد بقيم الجماعة ومبادئها والامتثال لسلطتها والمعايير التي تحددها .

اما الولاء المهني ، فيعني ولاء الفرد تجاه عمله ، وله العديد من الاسس ، وهي :
٤. حب المهنة والاعتزاز بها .
٥. التعمق المعرفي في التخصص ومتابعة كل جديد فيه .
٦. الرغبة الشديدة للنجاح في العمل .
٧. قبول اهداف المنظمة والامتثال لها .
٨. بذل مستوى عال من الجهد لتحقيق اهداف المنظمة .
٩. المساهمة الجادة في تطوير الواقع المهني وباتجاهين (النوعي والكلي) (الترمانيني ، ١٩٩٨ ، ص:٧-١١) .

النظريه التكامليه :

حيث يرى اصحاب هذه النظريات ان اي اضطراب ف السلوك ماهو الامحصلة لتفاعل مجموعه من العوامل ويرجع بعضها الى عوامل بيولوجيه او فيزيولوجيه ويرجع بعضها الاخر الى عوامل نفسيه او عقليه والبعض الاخر الى عوامل البيئه المحيطة ،ولذلك تمثل هذه النظريات الاتجاه السائد في الوقت الحاضر .

وقد اشار (جلوك والينور) الى ان يمكن القول ان الاشخاص الذين يعيشون في الحياة الحضريه المختلفه يتميزون بعدد وافر من العوامل التي واجهتهم في حياتهم المبكره واثرت في تكوينهم والتي قد تجعل منهم منحرفين .اما بعض العوامل الفرعيه فلا تكفي وحدهالتكون سببا للا نحراف المتكرر الذي دائما يكون وراءه مجموعه من العوامل العامه المركبه والنظريه النفسيه الاجتماعيه هي التي يندرج تحتها هذه المجموعه المركبه من العوامل المختلفه حيث انها تضم في تفسيرها لعوامل الذاتيه والعوامل البيئيه معا.

لذلك فاننا نعد الاطار المرجعي لهذا لنظريات التكاملية هو الذي يحوي في نطاقه تالفا بين النظريه النفسيه التي تركز اهتماما على الفرد في علاقته بجوانب الشخصيه المختلفه سواء كانت نفسيه او عقليه اوجسميه ،والنظريات الاجتماعيه التي تهتم بالبيئه سواء كانت بيئة داخلية او بيئة خارجية.

ولذلك تعد النظريات النفسية الاجتماعيه السلوك المنحرف ناشئا عن فشل بين الضغوط الشخصيه الداخليه والاجتماعيه الخارجيه في ايجاد اتساق بين السلوك وبين المعايير الاجتماعيه ،وهو مايسمى بنظرية الضوابط الشخصيه الداخليه والاجتماعيه الخارجيه في ايجاد اتساق بين السلوك وبين المعايير الاجتماعيه وهو ما يسمى بنظرية الضوابط الاجتماعيه الداخليه والخارجيه ،حيث يرى ركلسان فهم انواع السلوك الفوضوي يتطلب من الباحث ان يفسر العلاقه القائمه بين الفرد وبين الموقف الاجتماعي المباشر وذلك في اطار النظام العام للمجتمع . (عبد الحافظ ،٢٠٠٠،ص :٢١٢)

-نظرية اريكسون Erikson

وضع (اريكسون E.H.Erikson) ثمانية مراحل للنمو وأبرزها المرحلة الخامسة المتمثلة بـ(الهوية مقابل أزمة الهوية) .

فقد وجد (اريكسون) إن تفسيرات (فرويد) التقليدية لا تصلح في تفسير مشاعر غربة الفرد عن التقاليد الثقافية لمجتمعه ، والتي تودي إلى فقدان واضح لصورة الذات أو الهوية ، وهذه الظاهرة أطلق عليها بـ (أزمة الهوية)، واعتقد إن مثل هذا النوع من الأزمات لا يدل على معاناة من صراعات مكتوبة بل هي معانات من الارتباك بقيمة الوجود ، لكونهم غرباء مجتثي الجذور عن ثقافاتهم ولهذا تدور في خيالاتهم العديد من التساؤلات الصعبة من مثل من هم ؟ ومن يكونون ؟ وماذا كانوا ؟(شلتز ،١٩٨٣ ،ص:٢١١) .

وأشار (اريكسون) أن للهوية قيمة وأخصها في مرحلة والشباب ،لان مسالة الهوية أساسية لهم ويجب أن تواجه بالحل خلال هذه المرحلة من العمر لذا يتوجب على الفرد تكوين صوره واضحة عن نفسه بحيث تكون ذات معنى وقيمة من خلال استلهام الماضي وفاعلية الحاضر و التوجه نحو المستقبل ،كما تتكامل صورة الهوية الذاتية حينما يحصل تطابق بين ما يعتقده الفرد عن نفسه مع ما يعتقده الآخرون عنه .

ويعتقد (اريكسون) إن تشكيل الهوية مهمة غاية في الصعوبة وغارقة في القلق ، والأشخاص الذين يخرجون من هذه المرحلة الصعبة سيشعرون بشعورٍ قويٍ بالهوية فيكونون قادرين على مواجهة واقعهم وهم واثقون من أنفسهم أما أولئك الذين يخفقون في تحقيق الهوية فإنهم يعانون من أزمة تسبب اضطراب الدور ولذلك سيكونون في وضع لا يعرفون من هم ؟و ما هو انتماؤهم ؟ ونتيجة لذلك فقد ينسحبون من مسيرة الحياة السوية في التربية والعمل والزواج ... ويبحثون عن هوية (سلبية) مخالفة لتلك التي يفرضها المجتمع تمتاز بالجنوح والانطواء والإدمان على المخدرات (شلتز ،١٩٨٣،ص:٢٢٠).

ان تشكل الهويه هو محور التغييرفي مرحله الشباب حبث يشير على وجه العموم الى حالة داخليه تتضمن الاحساس بالتفرد ،والوحده والتالف الداخلي والتماثل والاستمراريه المتمثل في احساس الفرد بارتباط ماضيه وحاضره ومستقبله ،والاحساس بالتماسك الداخلي والاجتماعي ممثلا في احساس الفرد بذاته كوحده واحده وايضا ارتباطه بمجتمعه والدعم الاجتماعي الناتج عن هذا الارتباط انها باختصار الاجابه عن التساؤلات مثل (من انا ،ماهو دوري في هذا الاتجاه ،والى اين اتجه) . (عبد الرحمن،١٩٨٨:ص ٢٧٢) انطلاقا مما سبق فان الهويه تتضمن مايلي

١- الفرديه Idividualtion

وتعني ادراك الفرد لاستقلاليته وتحقيق هويته وكينونته وشعوره بان كيانه خاص به لايشاركه فيه احد .

٢- تكامل الشخصيه والتالف الداخلي :فلانا السويه هي ١لك الاحساس بالوحده والانسجام والتكامل الداخلي وغياب الانقساميه التي يحدث نتيجة تكوين مفهوم سالب لهويته .
٣- التماثل والاستمراريه :وهو الزياده في الشعور بتماثل البيئه الداخليه للفرد والاستمرار في ترابط ذلك الشعور بين الماضي وتوقعات المستقبل بما في ذلك حاضره فيشعر الفرد بقيمة حياته بانها تسير بما يلائم شخصيته اي انه يشعر بذلك التناغم لمحتواه الداخلي.
٤- التماسك الاجتماعي : ويقصد به احساس الفرد بتلك القيم والمثاليات التي يؤمن بها المجتمع وتمسكه بها على نحو يرضي نفسه والاخرين ،فهي تعني عملية مستقره تتميز بها ذاته في ارتباطها بالاخرين وقبولها لقيم ومثاليات البيئة الاجتماعيه التي يعيش فيها ومدى تقبل الاخرين لها في ضوء تلك المعايير والقيم .

يختلف الافراد في سرعة وسهولة اكتسابهم للهويه من ثقافه الى اخرى لسعة وتعدد الخيارات امامهم ،وتعدد المجالات لاثبات الذات ،وعدم محدوديه الادوار التي يلعبها الفرد فنجد المجتمع الغربي الصناعي ملئ بالتناقضات والمستجدات التكنولوجيه مما يحتم على الفرد الخوض في المجالات الجديده لاثبات الوجود ممايؤدي الى مواجهة التحديات كبيرة لتحقيق الذات واكتساب الهويه لتزايد الابتكارات والمخترعات التي تجعل الفرد في طور تسارعي على تلك الاشكاليه .

٥- جوانب الهويه :

اعتمادا على فكرة اريكسون في تشكيل الهويه ،قام مارشا (١٩٦٦،١٩٨٨)Marcia بالعديد من الدراسات مفهوم للهويه كما قام ببناء مقياس لقياسها ،وقد تبعه في ذلك العديد من الباحثين ممن طوروا فهما افضل لجوانبها من امثال ادمز (١٩٨٩)Adams وهذا ما سار عليه غالبية الباحثين العرب .

رتب الهويه :

يشير مارشا (١٩٨٨،١٩٨٨) Marcia في دراساته عن هوية الانا Ego identify كمحاولة لاختبار صدق افتراضات اريكسون عن النمو عند الافراد والتي اعتمدها الكثير من الباحثين العرب (عبد المعطي ،١٩٩٣ ،٩،عبد الرحمن،١٩٩٨ :٢٧٥،الغامدي تحت الطبع ،تحت الاعداد ،ابو حطب وصادق ،١٩٩٢ :٣٨٠ -٣٨١)ان هناكاربعة وجوه اي اربع رتب اساسيه للهوية ذات اساسية للهوية ذات طبيعة ديناميكية متغيره وتتحدد وفقا لظهور اوغياب متغيرين اساسين هما خبرة اواو عدم خبرة الفرد لازمه الهويه من جانب والتزام او عدم التزامه بما يصل اليه من قرارات سواء كان ذلك من خلال قرارته الحقيقه اوكانت نتاج للصدفه .وعلى هذا الاساس فان الفرد يمكن ان يقع في احدى الرتب الاتيه التالية : (عبد المعطي،١٩٩٣، عبد الرحمن ،١٩٩٨،:ص٢٧٥،).

١- تحقيق الهويه :

هم الذين يخبرون ازمة الهويه في مجال او اكثر من مجالات حياتهم ،وتوصلوا الى اختيار قرارمعين والتزموا بذلك القرار .وهذا مؤشر لنمو الانا بطريقة سويه والانتاجية ويعانون من درجات اقل من القلق والاضطراب النفسية والسلوكيه .

٢- تعليق الهويه :

يشير تعليق الهوية الى خبرة الفرد الانيه لازمه الهويه دون وصول لقرارت وعادة فان الافراد الذين يحققون هوياتهم يمرون بهذه من التعليق المؤقت .الان الوقوع في هذه الرتبة تعني ديمومه مرور الفرد في ازمة الهويه فهو في رحلة مستمرة للبحث عن هويته واهدافه الا انه لايظهر التزاما بها .وعادة ما يستمر في تغيير هذه الاهداف ومثالا على ذلك استمرارية الفرد في تغيير تغير تخصصه الدراسي وبشكل مستمر وبالرغم من تدني هذ الرتبه كمؤشر للنضج النفس الاجتماعي ،فانها تمثل رتبة مقارنة بالرتبتين التاليتين ذلك ان الافراد يظهرون اهتماما بالوصول الى اهداف ثابته وكنتيجه لديناميكية الرتب فان احتمالات تحويلهم الى رتبة التحقيق تبقى قائمة مع التوجيه السليم .

٣- انغلاق الهوية :

يقع الافراد في رتبة الانغلاق كنتيجة لعدم خبرتهم لازمة الهويه حيث يوجهون بقوى خارجية تختار لهم اهدافهم ومن ذلك اختيار الاباء لنوع الدراسة او العمل او غير ذلك لابنائهم الا انهم مع ذلك لايظهرون رفضا بل على العكس فانهم يظهرون تقبلا ورضا بما يحققون ولسوء الحظ فان هذه الرتب عادة ما تنال الرضا والدعم الاجتماعي من قبل الاباء الا ان الحقيقة هي ان افراد فيها من ضعف في نمو الانا ودرجة عالية من الاعتمادية والقلق وقد يظهر ذلك جليا في حالة فقدان مصدر الدعم .

٤- تفكك الهويه:

اسوء رتب الهويه حيث يعاني فيها الافراد من درجة كبيره من ضعف نمو الانا وايضا من المشكلات السلوكية والنفسيه التابعه لذلك وكنتيجة لهذاالضعف فان الافراد يصنفون في هذه النتيجه لغياب اومة الهويه التي لا يخبرونها اصلا ولا يظهرون اهتماما بذلك الا انهم يختلفون ايضا عن المنغلقين في انهم لا يظهرون اي التزام بما تشاء الصدف ان يقوموا به من ادوار ولذا فقد يتركون هذه الاهداف والاسباب مختلفة وحتى ولو لم يتركوها فانها لاتمثل لهم اكثر من ادوار فرضت عليهم ..وفي الغالب يظهرون اضطرابات تختلف في حدتها .وقد تصل ببعضهم الى العدوان والانحراف والجريمه

بعض المفاهيم التي تتعلق بالتلوث النفسي :

١ـ مفهوم الارتباط والتجذر والهوية :

يطرح (أريك فروم **E . From**) هذه المفاهيم ويرى أن الحاجة للارتباط تنشأ من تمزق روابطنا الأولية مع الطبيعة ، ويرى فروم أن بفضل القوى العقلية وقوى الخيال يكون الفرد واعيا بانفصاله من الطبيعة ، وبضعفه وعجزه وبالطبيعة الاعتباطية للولادة والموت ، يكون الناس قد فقدوا علاقاتهم الغريزية السابقة مع الطبيعة ، وجب عليهم أن يستعملوا العقل والتخيل من اجل خلق ارتباط جديد مع الآخرين من بني الإنسان ، والطريقة

المثلى لتحقيق هذا الارتباط تكون من خلال ما يسميه فروم الحب المثمر ، الذي يتضمن الرعاية والمسؤولية والاحترام والمعرفة ، ويرى فروم أنه يجب أن يصبح الناس أفرادا خلاقين ومنتجين ،في حالة سواء كانت خلق الحياة (مثل إنجاب الأطفال أو خلق الأشياء المادية مثل الفن أو الأفكار) أما إذا أعيقت حاجة الخلق والإبداع لأي سبب ، يصبح الناس مخربين وهذا هو البديل الوحيد للإبداع والخلق ، فالهدمية مثل الخلق والإبداع هي شيء في طبيعتنا وكلا الميلين يرضي حاجة التجاوز ، ومع ذلك فالإبداع هو الميل الأول ، ويرى فروم أن حاجة الإنسان للتجذر تنشأ أيضا من فقدان روابطنا الأساسية مع الطبيعة ، ونتيجة لهذه الخسارة نقف منعزلين لوحدنا ، يجب علينا أن نكون جذورا جديدة في علاقاتنا مع الآخرين لتحل محل جذورنا السابقة مع الطبيعة .

ويرى فروم أن مشاعر الأخوة مع الآخرين هي أكثر أنواع الجذور ارضاء مما يمكن أن ننميها وزيادة على حاجات التجذر والارتباط يحتاج الناس إلى الشعور بالهوية ، كأفراد فريدين .

وهناك طرق عديدة لتحقيق شعور الهوية هذا ، فمثلا يستطيع الشخص المنتج والمبدع تنمية مواهبه وقدراته إلى أقصى حدودها أو قد يستطيع أن يدمج نفسه مع جماعة ـ دينية أو نقابة أو مع وطن إلى درجة قد تصل إلى نقطة التطابق. (شلتز ، ١٩٨٣ ، ص : ١٢٤ ـ ١٢٥)

٢ـ مفهوم التفسخ الاجتماعي (الانومي) **The Anomie**

أول من صاغه هو عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركهايم **(Emilee Durkheim)** عام ١٨٩٧ في مؤلفه الانتحار **(Suicide)** ، ويقصد بالا نومي حالة المجتمع الذي يعاني من فقدان المعايير المطلوبة لضبط سلوك أعضائه وان المعايير التي كانت راسخة وتتمتع باحترام الأفراد لم تعد تستأثر بهذا الاحترام مما يفقدها سيطرتها على السلوك ومن ثم تعم الفوضى والاضطراب في المجتمع ويصبح الأفراد في حال من الشك وعدم اليقين فيما ينبغي عليهم اتباعه وما يتعين عليهم تركه ، وتصبح الحدود الفاصلة

بين الممكن والمستحيل غير معروفة ،كما تنعدم الحدود الفاصلة بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع .

ويرى (دوركهايم) أن هذه الحالة تحدث نتيجة للتحولات الاقتصادية المفاجئة سواء كانت في اتجاه الكساد أو الرخاء ، وهذا الخلل في تفسخ المجتمع بهذه الصورة قد يؤدي إلى دفع أفراد المجتمع إلى الانتحار. **(Durkheim , 1971 : 249 – 253)**

وقد قام عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ميرتون **(Robert Merton)** بإعادة صياغة المفهوم للإشارة بشكل محدد إلى حالة الانهيار في البناء الثقافي التي تحدث بصفة خاصة عندما يكون هناك انفصال حاد بين المعايير والأهداف الثقافية فيسبب تحلل المعايير ، وفيها يدرك الأفراد إنهم لن يحققوا الأهداف التي تفرضها الثقافة السائدة أذا التزموا بها التزاما دقيقا ، ومن ثم تتم استجاباتهم لهذه الحالة بطرق وأنماط مختلفة من السلوك تتراوح بين التمرد والانسحابية والابتداع ، وحينما تتفاقم حالة الانومي في المجتمع يصبح الانحراف هو القاعدة بدلا من أن يكون الاستثناء ، حينذا نتوقع الانهيار الكامل للضبط الاجتماعي فتتطور الحالة إلى اضطراب نفسي يتميز بالإحساس بالعبث **(Futility)** وفقدان الأهداف والفراغ الوجداني والقنوط . (N . E. B. 1982: 399) كما أشار روبرت ماكيفر **(R. Macirer)** إلى أن الانومي يعني أيضا بأنة حالة نفسية تميز الفرد الذي يشعر بفقدان القيم الأصيلة.

وكذلك يرى أن المرء والعالم يسيران بلا هدف وان الفرد الذي يشعر بهذه الحالة يتسم سلوكه بالفوضى وتبدو له المعايير الاجتماعية تافهة أو بعيدة المنال . (طه ، ١٩٩٤ ، ص : ١٢٨)

٣ ـ مفهوم الغزو الثقافي (**Cultural lnvation Co.**)

لقد وجدت الدول الاستعمارية أن هذا النوع من الغزو يكون الأكثر فاعلية والأقل كلفة والأسرع انتشارا والابقى زمنا ولا يثير المشكلات بالقدر الذي يسببه الغزو العسكري أو الضغوط الاقتصادية ولا سيما بعد أن تصاب الشعوب بالغزو الذاتي حينما تحاول برضاها

الانسلاخ من أصولها باسم التقدم والمعاصرة والحداثة ، لقد بات الغزو الثقافي يوصف بكونه الاستعمار النظيف الذي يرغب ولا يرهب (الأبرا همي ، ١٩٧٧ ، ص : ٧٠٦)

المصادر

١. الابراهيمي ، احمد طالب (١٩٧٧) . " الامبريالية الثقافية : السم في الدسم " . مجلة الثقافة ، العدد (٤١) السنة (٧) ، الجزائر ، ص: ٧٠٦ .
٢. بيرك ، باري (٢٠٠٢) . " ما بعد الحداثة وفرضيات التحول الاجتماعي " . ترجمة حارث حسين وجاسم خريسان ، مجلة الثقافة ، العدد (٤٦٧) ، وزارة الثقافة السورية ، ص:٢٣٨ .
٣. الترمانيني ، زهير (١٩٩٨) . الولاء التنظيمي عند الموظف اليمني في وزارة التربية والتعليم ، صنعاء .
٤. تورين ، فارس (٢٠٠٠) . التغير الواعي . اصدارات الفتى (١١٧) ، القاهرة .
٥. الجميلي ، علي سليمان (٢٠٠٢) . اثر برنامج تعليمي في تعديل الاسلوب المعرفي (التصلب الى المرونة) لدى طلبة كلية التربية بجامعة الموصل . اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة الموصل
٦. الخياط ، حسن (١٩٩٨) . " المدينة الخليجية : اشكالية الاصالة والمعاصرة في التخطيط والعمارة " . مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، العدد (١٠) السنة (١٠) ، جامعة قطر ، ص: ٤٨-٥١ .
٧. الدباغ، واخرون (١٩٨٢) . اختبار المصفوفات المتتابعة (القياس العراقي) . مطبعة جامعة الموصل
٨. رابي ، عبدالله مرقس (١٩٩٥) . التحضر في مدينة الموصل للفترة (١٩٤٧-١٩٨٧) . اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة بغداد .
٩. شلتز ، دوان (١٩٨٣) . نظريات الشخصية . ترجمة حمد دلي الكربولي واخرون ، مطبعة جامعة بغداد .
١٠. سويدان ، سامي (١٩٩٧) . " التباسات الهوية ومأساوية الاختلاف " . مجلة الفكر العربي ، العدد (٩) السنة (١٨) ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ص: ٢٤ .
١١. شرابي ، هشام (١٩٩٩) . النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين . ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .
١٢. عبار ، صابر برجس (١٩٩٧) . " التلقائية لدى ابناء الريف " . مجلة التراث الشعبي ، العدد (٦) ، بغداد ، ص: ١٣ .
١٣. عبدالحافظ ، مجدي (٢٠٠٠) . " الاستثناء الثقافي بين محاولات تجاوز التخلف وتكريسه " . مجلة العلوم الانسانية ، العدد (١٤) ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، ص: ٩٨-١٠٠ .
١٤. عيسى ، محمد رفقي (١٩٩٨) . " مصادر التطرف كما يدركها الشباب في مصر والكويت : دراسة مقارنة " . مجلة مركز البحوث التربوية ،العدد (١٣) السنة (٧) ، جامعة قطر ، ص: ٧٣-٧٨ .
١٥. كوخ ، ادريين (١٩٦٣) . اراء فلسفية في ازمة العصر . ترجمة محمود محمود ، مكتبة الانجلو المصرية
١٦. محمد، (٢٠٠٢) . " الاثر التجريبي على التباين في مدركات مشاهدي افلام الجريمة " . وقائع المؤتمر الوطني لنقابة المعلمين – المركز العام - ، ومقبول للنشر في مجلة الاجيال ذي العدد (١٩٦) ، ص: ١٠ .
١٧. مؤتمر (هجرة المغاربة الى الخارج / ١٩٩٩) . لجنة القيم الروحية والفكرية التابعة لاكاديمية المملكة المغربية ، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية ، ص: ١٩٩ .
١٨. شمال ، محمود حسن (١٩٩٩). قلق المستقبل لدى الشباب المتخرجين في الجامعات، مجلة
١٩. المستقبل العربي .
٢٠. البياتي ،عبد الجبار وبهاء الدين عبدالله (١٩٧٤) .المنزلة الاجتماعيه للمهن من وجهة نظر معلمي ومعلمات المدارس في بغداد ،مركز البحوث التربوية والنفسية .
٢١. سابا، الياس (١٩٩٩) . مستقبل الاوضاع الاقتصادية في لبنان ، مجلة المستقبل العربي ،بغداد ع ١٤٣ ،كانون الثاني ، ص: ١٠٤- ١٠٥
٢٢. الغامدي ، عبدالله (٢٠٠١) مفهوم الذات ودافعية الإنجاز لدى المحرومين من الأسرة . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .
٢٣. السيد ، فؤاد البهي و سعد عبد الرحمن (١٩٩٩) : علم النفس الاجتماعي (رؤية معاصرة) ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

المصادر الاجنبيه

1) Augros, R. M. and George N. Stancia (1984). The New study of science.
2) Baretrand pub. Inc. New York
3) Durkhiem, E. (1971). A study in sociology
4) Translated by J.A. Spaulding and G. stmpson. Free press. New York.
5) Hassan, Ihab (1986). "Pluralism in postmodern "perspectiv". Critical Inquiry: Jo. Of Palestine studies: vol. (16), no. (12), pp:503-520.
6) Kushman, j. (1992). The Organizational Dynamics of teacher work place commitment: A study of urban Elementary and middle schools. Education Administration Quarterly, vole (28), 1. Pp: 607.